تمهيد

منى تقي الدين أميوني

صداقة الكلمات
لذّتها
حرّيّتها
أمحو بها المكان والزمان
أمحو الحواجز بيني وبينك
أطير إليك على جناحها
أحمّلها
ما ثقل من رغباتي الدفينة
أثقّلها
فأرمي عليها عبء ما لا أريد حمله وحدي

خلال قرون طويلة كانت المرأة هي الآخر، محتقرة، يقتصر نشاطها على الأشغال المنزلية، ولا يتاح لها، الا فيما ندر، ان تحصل على علم او معرفة. كانت تعيش في عالم للرجال.

اما الرجل فتمتّع بحرية الكتابة. رسم وجه المرأة، كتب جسدها، صوّر انفعالاتها ورغباتها ؛ وكثيراً ما حجب حقيقة هذا الآخر. كتب فيما ظلت هي صامتة ؛ اخترع فيما كانت هي تُرضع.

صحيح ان بعض النساء هتكن حجاب الصمت الثقيل. فقد لمعت في تاريخ حضارتنا العربية أسماء *الخنساء*، *رابعة العدوية*، *ولادة بنت المستكفي* وغيرهن. الا ان عددهن قليل ولم تتعدَ كتابتهن التعبير عن خلجات النفس. فالكتابة والبحث العلمي، النقد الفني

او الأدبي، وغير ذلك من موضوعات الفكر، ظلت وقفاً على الرجال في لبنان كما في العالم العربي حتى القرن التاسع عشر.

ثم شُرّعت الأبواب، وأتيح للمرأة ان تتعلّم. فشعرت بدورها بالحاجة الى البحث، الى التساؤل، الى الكتابة.

* * *

اننا، نحن النساء اللبنانيات، نوجّه اليوم اسئلتنا لنحاول ان نفهم، ان نحلل الجدلية بين المصطلحين : *المرأة-الكتابة*.

لقد شغلتنا إشكالية *المرأة-الكتابة* منذ فترة. وبما ان الآراء معقدة ومتباينة فيما يتعلق بما يسمّى *كتابة نسائية*، ارتأيت ان لا اتخذ موقفاً مسبقاً منها.

وجّهنا الأسئلة التي شغلتنا الى كاتبات وباحثات لبنانيات او من اصل لبناني يعشن في لبنان او فرنسا او في الولايات المتحدة. وقد انضمّ الينا كاتبات غير لبنانيات الا انهن متخصصات في الموضوع. ونقصد « الكتابة » بمعناها الواسع، اي كتابة الرواية والمقالة والشعر والمسرحية والصحافة، فضلاً عن الأبحاث في مختلف المجالات العلمية، اجتماعية كانت ام تطبيقية.

كلما وصلتنا أجوبة من توجهنا اليهن واليهم بأسئلتنا كنا كالأطفال الذين يفتحون الهدايا ليلة عيد، ملهوفين، مشدوهين، مبتهجين. وصلتنا المقالات، الشهادات، المقابلات، الدراسات، هدية تلو الأخرى تلقيناها، نحن النساء الخمس المشرفات على هذا العدد. وقد كشفت عن تأملات وأفكار غنية كغنى من كتبنها، مختلفة كاختلافهن. صحيح ان « الاسلوب هو الرجل »، الا اننا اضفنا بدهاء « ولكنه المرأة ايضاً ». كذلك اتضح لنا اننا خلقنا « مساحة متعدّدة حقاً » (على حدّ تعبير فرنسواز كولان) حيث لا يؤثر الجنس وحده في الكتابة، بل تؤثر فيها ايضاً الشخصية والثقافة والمهنة والبيئة التي تعيش فيها الكاتبة او الكاتب. لقد اقررنا، منذ البداية، باننا جميعاً مثقفات، اي اناس متعلمون، مستقلون، أحرار في التعبير عن انفسنا. ونشاطر هنا رأي الناقد الشهير ادوارد و. سعيد في كتابه *أدوار المثقف* ... Representations of the Intellectual حيث يرى ان المثقف، رجلاً كان او امرأة، انسان مستقل عن مراكز

السلطة، معارض، يتساءل أبداً، يريد تحطيم الأفكار المقبولة والآراء التي تختزل الانسان في صفة واحدة، فتحدّ من الفكر وإمكانية التفاعل. فللمثقف القدرة على تمثيل ذاته وتمثيل العالم بواسطة خطابه وكتابته ومحاضراته وظهوره على شاشة التلفزيون ؛ بكلمة، عن طريق اتصاله بالجمهور. فالمثقف ملتزم. والمثقف يخاطر.

فنحن، هذا التجمع الصغير من النساء الباحثات، ملتزمات ومستعدات للمخاطرة، ولو ان مخاطرتنا قد لا تتعدى الرغبة في ايصال صوتنا الى مجتمع ليس مستعداً، بعد، لسماعه. وليس من باب الصدفة ان يكون تجمعنا قد وُلد سنة ١٩٨٦، خلال الحرب اللبنانية. كانت الحرب مأساة دموية بالنسبة للبنانيين عامة، الا انها شكّلت نقطة تحوّل في حياة المرأة اللبنانية بصفة خاصة.

كان على المرأة ان تحافظ على الانساني في خضم اللاإنساني، وكثيراً ما دفعتها الأحداث الى المواجهة، إن في البيت او في الخارج. فعلى عاتقها وقع جميع الأعباء المنزلية والاقتصادية والاجتماعية، فيما كان الرجل يحارب او يكسب رزقه في الخارج او، بكل بساطة، يموت. وما علينا الا ان نسمع او نقرأ شهادات ربات العائلات التي هُجّرت (وقد هُجّر سدس سكان لبنان) لكي ندرك الجهود الجبّارة التي بذلتها هؤلاء النساء.

ان هذا يذكرنا بنظرية ميريام *كوك* التي تبلورت في ذهنها أثناء زيارة لها الى بيروت خلال الحرب. في كتابها أصوات النساء الأخرى *Women's other Voices* (وفي ملفنا مقالة أخرى لها) تبيّن كوك ان تدمير وسط بيروت الذي كان قلب المدينة وسكانها، وحيث التقى الكتاب الذكور، ان تدمير هذا الوسط سبّب غلياناً على محيطه، فارتفعت أصوات نسائية جديدة. تسمّي *كوك* هؤلاء النساء : *اللامركزيات Decentrists* وتتساءل كيف عليها ان تحددهنّ :

« *من هؤلاء اللامركزيات البيروتيات ؟ كما كنّ يتقاسمن بيروت سابقاً، تقاسمن الحرب الآن : جسدياً لانهن تشتتن في مدينة تُدمّر ؛ وفكرياً إذ تفرّقن عن بعضهن البعض. فأخذت كل منهنّ تكتب لنفسها.* »

حينئذ خلقنا نحن ايضاً *الباحثات*. في الواقع، سواء كنا « لامركزيات » او « متجمعات » فإننا اردنا ان نزعزع لكي نُسمَع. وعليه شعرنا بحاجة ملحّة الى فهم معيشتنا ومشكلاتنا على

الأرض، لننتقل من ثمّ الى التأمل، الى التفكير والتحليل. وفي تنوّع الحوار وبسببه شكلت *الباحثات* صورة مصغّرة عن لبنان. تبادلنا تجاربنا ومشكلاتنا وابحاثنا في الميادين المتنوّعة التي تشغلنا. وكونّا بذلك معيناً مشتركاً يغرف منه تجمعنا، الا انه معين ايضاً للباحثات اللواتي سينضممن الينا في المستقبل.

اننا، بالدرجة الأولى، مستقلات. بعيدات عن عالم المال، عن السلطة السياسية وعن المؤسسات الدينية. نحن نعي تماماً ان أهميتنا محدودة جداً في مجتمعنا، بسبب عددنا القليل، من جهة، وبسبب ابتعادنا عن كل سلطة، اياً كانت. غير اننا نأمل، على الرغم من ذلك، ان نكون حافزاً لطاقات نسائية أخرى تجاهلها المجتمع حتى الآن، ولا سيما بين الشابات.

* * *

ينقسم هذا العدد الى خمسة أقسام :

١ – المحور *المرأة–الكتابة*

٢ – وجهات نظر ذكورية

٣ – وجوه نسائية

٤ – مشاكل وقضايا نسائية

٥ – بيبليوغرافيا لمؤلفات كاتبات لبنانيات صدرت بين ١٩٩٤ و ١٩٩٥.

ثم ان مقالات هذا العدد كُتبت بلغات ثلاث، فتعكس مجتمعنا المتعدد الثقافات. ونأمل بذلك ان نخاطب عدداً كبيراً من قراء العربية والفرنسية والانكليزية على السواء. ولذلك ألحقنا كل مقالة بملخص في اللغتين اللتين لم تكتب فيهما المقالة.

وفي ترتيب مقالات المحور اخترنا ان ننتقل من الداخل الى الخارج، أي من الشهادات الشخصية التي تناولت علاقة الكاتبة بالكتابة، الى نصف الشخصية حيث تكلمت الكاتبة عن ذاتها لكي تحدّد بعد ذلك مكانتها بالنسبة لكاتبات معاصرات أخريات، وانتهينا الى مقالات النقد الأدبي الموضوعي، ولكن من غير ان نخرج على محورنا، أي المرأة–الكتابة.

بدافع حماستي لمشروعنا منذ عدة أشهر كانت لي لقاءات مؤثرة مع بعض الكاتبات، وقد أدهشتني قصة إحداهن :

كانت أمها صماء، فكانت تكتب لهذه الأديبة حين كانت لا تزال طفلة ما تريد ان تقوله لمن حولها، فما كان من الطفلة الا ان تقرأ لهم ما كانت قد كتبته الأم لتكتب لأمها بعد ذلك ما يكونون قد أجابوا.

توسّلت الى هذه الأديبة ان تكتب لنا شهادتها ولكنها أجابت : « لست مستعدة، بعد. إن ذلك يثير فيّ ما لا أتحمّل من الانفعالات. لست مستعدّة، بعد، للغوص في أعماق نفسي. » إنها دخلت عالم الكتابة وسيطة بين الأم والمجتمع، لسان حال غيرها منذ نعومة أظفارها ؛ حتماً، لم تكن الكتابة لعب أطفال لهذه الطفلة.

اما الروائية هدى بركات فقد كلمتني عن *الحجة الأدبية* التي يشكلها بالنسبة لها استخدامها راوياً ذكراً. ولكنها قالت إن روايتها التالية ستروويها أنثى. حينئذٍ تكون بركات مستعدة للكلام عن المرأة والكتابة، على ما نظن.

تسكن **فينوس خوري-غاتا** في باريس منذ اندلاع الحرب. وقد أخبرتني انها، منذ طفولتها، بدأت تبني *وطنا* من ورق قائماً على هذا *الكذب-الصادق* الذي تمثّله الكتابة. فيما تحتفل **سميرة أغاسي** *بالكرنفال* الذي تولّده الكتابة الشعرية في أعماق ذاتها، كتابة شعرية تدفّقت فجأة تحت وابل القنابل في بيروت.

اما **ميريام كوك** فتكتب عن قوّة الكاتبات العربيات ؛ بينما تقرأ **نهى بيومي** رواية *أهل الهوى* وكأنها بحث انطولوجي عن الذات. الوجود هو الوجود في الرغبة ؛ وعليه فكيف نفهم صلة الأنا بالجسد وصلة الجسد بالمكان ؟

صانعة الكلمة **كلير جبيلي** ملتزمة التزاماً كاملاً في زمننا المضطرب وتضطلع بوظيفتين لتعبّد واحد، تعبّد الكتابة. اما **ليلى شيخاني-ناقوز** فقد كانت تكتب دائماً وتمزّق ما تكتب. ان هذا الصراع ضد الكلمة ومع الكلمة، لشاهد على ولادة الكلمة. و**ايفلين عقاد** تسبر أغوار سيرة كاملة من خلال الكتابة، عائدة الى الطفولة، الى المراهقة، مسافرة الى اجواء أخرى. ومن خلال القصيدة والأغنية والرواية تكتشف عقاد هويتها وانتماءها الى العالم.

اما بالنسبة لـ **جين سعيد مقدسي** فان الكتابة تتدفّق مُدَمِّرة. في البدء أرعبتها الكتابة ثم استخدمتها لتفهم العالم وتجد مكانتها في قلبه. فيما تعي **منى فياض** الكتابة مقترنة ببيئتها، وتبلغ **سعاد جوزيف** كامل نضجها حين يتفاعل في وئام تام تدريبها العلمي المسمّى « ذكورياً » وهويتها الأنثوية الخالصة.

وترى **يمنى العيد** انها تضع مرايا الكاتب الأدبي قبالة مرايا الناقد الأدبي، وانهما كليهما يعيدان بناء العالم حسب قراءتهما الشخصية الخاصة. اما **نازك سابا يارد** فلا تحقق ذاتها كاملة الا من خلال الكتابة، مع انها لا تنصرف اليها الا بعد ان تقوم بكل واجباتها كامرأة وزوجة وأم. وبالنسبة لـ **سهام ناصر** تمثل اللغة المسرحية الحياة نفسها. انها تكتب لتتخطى الكلمة، لتجسدها في لغة الجسد، لتُدخلها في كل صمت العالم. اما **ديزي الأمير** فتتحدى إذ تدحض العديد من الافكار المسبقة حول الكتابة. وكذلك تنبهنا **اليز سالم منغنارو** الى خطر ان ندرس كتابة النساء وحدهنّ، إذ لا يمكن، في رأيها، ان نفصلها عن كتابة الرجال. تحلل **أمينة غصن** أولى الروايات التي كتبتها الاديبة الجزائرية احلام مستغانمي باللغة العربية . في *ذاكرة الجسد* تصبح اللغة العربية لغة الحب والمقاومة. المقاومة التي نجدها ايضاً عند ليلى بعلبكي التي تقدّمها **أنيسة الأمين**. فالكتابة بالنسبة لبعلبكي تمثل المقاومة والثورة والتحرر. اما **ايتيل عدنان** فلا تأخذ اشكالية *المرأة-الكتابة* مأخذ الجد. فلأنها تخطتها، على الأرجح، تكتب بفكاهة عن حب النساء للكلام.

عاشقة الكلام ايضاً هي هندية المتصوّفة التي يحدثنا عنها **جاد حاتم**. إنها تتكلم، تقرأ وتظهر لها الرؤى، ولكنها لا تكتب. انما يدوّن كتبة رجال ما تملي هي عليهم. كذلك بقي حيّاً كلام بينيلوبي الذي نقله الشعراء المتجوّلون منذ عهد هوميروس وحتى يومنا هذا. **وضاح شرارة** معجب بها إعجاباً شديداً. فبينيلوبي المتحكّمة بالزمن، بالحياة والموت، والشبيهة بشهرزاد وبمولي بلوم، تنسج بالكلمة ملحمة هوميروس الخالدة.

تختلف فيما بينها آراء الرجال الذين اشتركوا في عددنا هذا حول الكتابة المسماة نسوية. الا ان **انطوان بولس** ليس اقل إعجاباً بماري شيلي، رائدة رواية العلمي المتخيّل، من **شرارة** ببنيلوبي.

وفيما « الكتابة هي تعاطي الحب » بالنسبة لـ **فيليب عرقتنجي**، يحدثنا **رفيق شيخاني** عن خنثوية الكاتب ويناقضه كل من **ابراهيم نجار** و**ايليا حريق** اللذين يريان ان الكتابة لا جنس لها. اما **منير شمعون** فيتساءل عن هذا التاريخ الذي فصّله الرجال على قياسهم، لماذا قاطع طويلاً نشر ما تكتبه النساء. وفي نهاية المطاف يبيّن **جورج خضر** ما في المرأة من إنسانية كاملة مؤكداً ان فرادتها وإبداعها يسهمان في خلق عالم اكثر انسانية.

* * *

الآن، وقد فرغت من قراءة الشهادات التي تضمنها المحور، أصل الى اعترافاتي انا. *فما كان دور الكتابة في حياتي انا* ؟ لقد كتبت مذكراتي الشخصية خلال حياتي كلها. وفي كل مرحلة هامة كنت أسجّل اعترافاتي على الصفحة البيضاء، من غير مواربة او خجل.

كنت في الثانية عشرة من عمري حين كُلّف والدي بمهمة رسمية في روسيا ايام ستالين. حملت معي دفتراً جميلاً جديداً وبدأت اكتب انطباعاتي على ظهر السفينة التي اقلّتنا الى باتوم على البحر الأسود. اكتشاف هذا العالم الشاسع، اولى إطلالاتي على المجتمع، مشاعري، قراءاتي السرية لـ *مدام بوفاري* و*الجريمة والعقاب* وغيرهما، كلها جعلتني احلم بان اصبح كاتبة يوماً ما. فمن خلال هذه الدفاتر، اصدقائي المخلصين، اقمت حواري الأول مع العالم.

وفي وقت لاحق احببت، وقررنا ان نتزوج. بسرعة اصبح رجل حياتي الانسان الثمين الوحيد في الدنيا. فبحت لدفتري بدهشتي. بحبي. وكانت الفضيحة ! انا درزية وهو مسيحي. فامتصت الكتابة ما فاض من ثورة وغضب، ومن حب ايضاً. عقد القران، وظلت الكتابة تعكس افكاري، مشاعري. سمحت لي بان اندمج في عالم صنعته على قياسي. بها انتظمت تجاربي وتوضّحت رؤياي.

اعجوبة انجاب الأولاد، الألم الذي نحس به نتيجة صراع مع المحبوب، *الدفاتر* الاثنا عشر التي قرأناها معاً قبل ان تُحرق، قرباناً شبه ديني.

ثم ملأت الكلمات حياتي مجدداً حين عدت فيما بعد الى الجامعة.

أكملت دراستي الجامعية متخصصة في الأدب. قرأت، عطشى، الروائع الكلاسيكية وبدأت اكتب من جديد. وفي سن الرشد اكتشفت القضايا الكبرى : الغربة والظلم والبحث عن الهوية وأمثالها من القضايا التي وجدت صدى في أعمق أعماقي.

ثم نشبت الحرب وتزلزل العالم تحت أقدامنا. وفي الهزّة العميقة التي اصابتنا عشنا بدورنا ما كنت قد قرأت عنه في كتابة غيري. قاومت بصمت التفتّت المأساوي الذي اصاب البلد، تنقلت تحت القذائف كي أقوم بوظيفتي في التعليم وتابعت كتابتي وابحاثي.

فجأة توقفت حياتي مع حياة رفيقي الذي قُتل في بيتنا. في لحظة ألغيت حياة انسان. وكتبت. ساعدتني الكتابة على الاستمرار.

قال اندريه مالرو إن الفن يؤنسن العالم. هذا ما فعلته الكتابة بالنسبة لي. انها وصلتني بالعالم. وهي التي تجعلني الآن أصفى ذهناً، أرهف إحساساً، وتساعدني على وعي العالم الخارجي.

فما معنى هذا كله ؟ إلامَ اهدف من خلاله ؟

اريد بكل بساطة ان اقول إنني لست « نسوية »، وانما انسانية، مؤمنة ايماناً عميقاً بكل فرد.

وان كان عليّ ان اتخذ موقفاً من إشكالية *المرأة-الكتابة* أقول ان الجميع، رجالاً ونساء، يشعرون بالحاجة عينها الى التعبير عن انفسهم، الى من يسمعهم. أليس لدينا جميعاً رغبات وأحلام واوهام ؟

أليس بين شهادات هذا العدد ما يجد صدى في نفوس الكتاب الرجال ؟ انها شهادات وجودية من صميم تجربة الكتابة وتعبّر عن حقائق شاملة : اكتشاف الأنا والعالم، الثورة، الغضب، التحرر.

صحيح ان العقبات كانت قاسية بالنسبة للمرأة، وانها لم تبدأ تتخطاها الا مؤخراً. ولكنها سريعاً ما تلحق، لاهثة، بإخوانها، لانها توظّف كل ما لديها من قوى جسدية وروحية وفكرية.

تمّحي الفروقات ويبقى الصوت فريداً.